نابليون وجوزفين

تنازع فؤاد نابليون منذ ريعان شبابه إلى ان هوى عن عرش سلطانه أمران الاول شغفه بغلعمة المدافع ، وصليل السيوف ، والثاني تعشقه كل مليحة من النساء ، وبدون هذين الامرين لم يكن لقلب ذلك المقدام سكينة ولا دعة ، فالحب عنده ، كان المؤنس في اظلم ساعاته ، والمشجع في شديد معاركه وفتوحاته

لم تتمكن امرأة من بين عديد النساء اللواتي تقربن الى نابليون من قلبه كما تمكنت جوزفين أرملة الفيكونت بهارنه ، فما وقعت عيناه عليها يوم مثلت بين يديه عام سنة ١٧٩٥ كي تشكره على حسن صنيعه إلى ابنها وذلك بارجاع سيف والده له ، حتى افتتن نابليون بجمالها وشغف بلطف كلامها

غادرته جوزفين ذلك اليوم ولكن صورتها لم تغادره فلم يقر له قرار حتى سار إلى شارع شانتران ليتمتع ثانية بمرأى من اقلقت مجاري آماله ، ولا غرو ان تلون وجه ذلك الكورسكي الصغير عند أول دخوله الى منزل تلك الحسناء ، ولا عجب اذا اصبح رهين بلابل وصريع غرام ، فجوزفين كانت في عينيه الهة قد استوت على عرش الجمال والكمال ، وقد زاد لطفها الطبيعي وعذب كلامها وجميل اجتماعها في قلبه صبابة ، وفي نفسه ولوعا

تتابعت زيارات نابليون وكيف لا تتابع ، حتى انه لم يمر اسبوعان على تعارفهما الا وملك فؤاد تلك الحسناء ، ووعدها أن تكون قرينته وشريكة حياته ولكن الايام لم تشأ أن تمكن نابليون بكل سعادة القلب فما مضى على اقترانهما يومان حتى جاءته الاوامر أن يسرع إلى قيادة الجيش الفرنساوي في ايطاليا

سار نابليون ولكنه كان في كل مكان حل فيه ليبدل جواده المضنى ، بجواد جديد ، يوفد الرسائل إلى امرأته الملاي بالشكوى على نكد ذلك الحظ ، وقد كتب اليها في احدى رسائله ما يلي

« كلما ضاق بي الصدر ودفعني الى الانتقام من هذا الزمان الظالم امر يدي

على قلبي فانا بصورتك مرسومة عليه ، انظر اليها فيمتلئ فؤادي فرحاً لا يقدر لساني أن يعبر عنه ، لا نظر لي على هذه الحياة الا لانها قد ابعدتني عنك قبل الأوان

بين صليل السيوف واتين القتلى ، كانت تتجلى أمام عيني نابليون صورة معبودته جوزفين بينما هي كانت في باريس تتلقى الاحتفاء والتهاني على اقترانها السعيد ببطل فرنسا حتى امسى اسمها واسم نابليون موضوع كل حديث بين الشعب الفرنساوي

بعد ان أحرز نابليون عدة انتصارات باهرة طلب من جوزفين أن توافيه الى ايطاليا ولكن أنى لها أن تترك وغد العيشة الباريسية ، وتقبعه الى ساحة القتال ، فاعتذرت له املاقي أن يكف عن طلبه ولكن نابليون لم يكن ليبيناً غائباً عنها ولذا لج في الطلب ثانية فكتبت اليه متعللة عذراً انها منحرفة الصحة ولذا فانها غير قادرة على تحمل مشقات السفر فحزن لذلك شديداً ولكنه لما علم انها باحسن صحة وانها تغشى المجتمعات الباريسية كل ليلة استشاط غضباً وأمرها أن تسرع اليه والا يترك جنده ويعرول الى فرنسا

وهكذا سارت جوزفين مصحوبة بفريق من الضباط الى ايطاليا وهي تتوقع شراً من زوجها ، وما كان أشد سرورها عند ما قابلها نابليون بذراعين مفتوحتين فرحاً لا عاذلا ، ولكن الاقدار التي خضعت لذلك البطل في ساحات القتال أبت أن تطيع ارادته في دوام سروره فما مضى يومان على وصول جوزفين اليه حتى اضطر أن يفارقها مسرعاً الى كاستليون لخلاص جنده الذي كان مهدداً بالانكسار والفناء ورغماً من حراجة الموقف مدة أسابيع لم يبرح وجه جوزفين من مخيلة نابليون في كل دقيقة من النهار فامطر عليها الرسائل كي تسرع اليه الى ساحة العراك ، واذ رأت جوزفين أن لا سبيل الى مخالفته قدمت اليه وما عتم أن اضطر مرة أخرى الى مغادرتها والاسراع الى جهة اخرى من ساحات الحرب

ذات أخطار وشدائد عظيمة ، ففارقها بينما ظلت هي موضع الاعتبار والاحتفاء حيثما حلت قدماها

ولما انتهت المواقع الايطالية رجعت جوزفين مع زوجها — الذي أصبح بطل فرنسا بدون منازع — الى باريس حيث استقبلا بكل تجلة واكرام كما يستقبل الفاتحون الظافرون

ولكن نفساً كنفس نابليون لم تخلق للسكينة والهدوء ، فما مضت بضعة أشهر حتى ودع جوزفين مرة اخرى قاصداً أرض الفراعنة يطلب السيادة عليها ، وما وصل الى جزيرة مالطة حتى شرعت الاخبار ترد عليه عن سيرة امرأته وانهما كما في طلب اللذات وغشيانها مجتمعات المسرات فثارت في رأسه ثورة الغضب ، ولما عاد الى باريس عزم على أن يرغمها على السلك المحمود لكنه لما وقف أمام ذلك الجمال الفتان سكن غيظه فضمها الى صدره غفوراً حزيناً

بيد أن كيد الشديد بجوزفين ابتدأ بتلاشي من جراء قلة اكتراثها به وعدم امتثالها لاوامره فعاش الاثنان حيناً من الزمن في وسط العز والشهرة حتى بلغا أوج السعادة يوم ارتقى نابليون عرش فرنسا فوضع هو بنفسه التاج على رأس جوزفين الجميل ولكن في وضع ذلك التاج على رأسها شعرت جوزفين أن سعادتها أوشكت أن تغيب وعلمت أن سيرتها الماضية واسرافها المفرط أماتا جذور المحبة في قلب زوجها ، واستفاقت يوماً واذا بنابليون يخبرها أن مصلحة البلاد ترغمه أن يطلب ابنة امبراطور النمسا زوجة له فوقعت كلمات نابليون كالصاعقة على قلب جوزفين فبكت وابتهلت ولكن بكاءها وابتهالها كانا عبثاً لان نابليون لم ينزحزح عن مقاصده ثم التفت اليها وقال انك لم تسعديني بولد أبني عليه سلطاني فلا حاجة الى الابتهال

وهكذا حدث فانه في سنة ١٨٠٩ فارقت جوزفين منزل ذلك الرجل الذي استعبدت فؤاده حيناً من الزمن وحلت محلها ابنة امبراطور النمسا